وينفرد كل منهما في مادة عن الآخر في جهة الزمن والتمثيل لا يخفى وأما الحمد والشكر العرفيان فقال في شرح المطالع تحقيق ماهيتهما أن الحمد عبارة عن قول القائل الحمد لله بل هو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما وذلك الفعل إما فعل القلب أعني الاعتقاد باتصافه بصفة الكمال والجلال أو فعل اللسان أعني ذكر ما يدل عليه أو فعل الجوارح وهو الإتيان بأفعال دالة على ذلك والشكر كذلك ليس قول القائل الشكر لله بل صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه به من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق له وأعطاه لأجله كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته والسمع إلى تلقي ما ينبئ عن مرضاته والاجتناب عن منهياته وعلى هذا يكون الحمد أعم من الشكر مطلقا لعمومه النعمة الواصلة إلى الحامد وغيره واختصاص الشكر بما يصل إلى الشاكر انتهى قال السيد وذلك لأن المنعم المذكور في تعريف الحمد العرفي مطلق لم يقيد بكونه منعما على الحامد أو غيره فيتناولهما بخلاف الشكر إذ قد اعتبر فيه منعم مخصوص وهو الله سبحانه وتعالى ونعمته واصلة منه إلى عبده الشاكر ولكون الحمد أعم من الشكر وجه ثان وهو أن فعل القلب أو اللسان وحده مثلا قد يكون حمدا وليس بشكر أصلا إذ قد اعتبر فيه شمول الآلات ووجه ثالث وهو أن الشكر بهذا المعنى لا يتعلق بغيره تعالى بخلاف الحمد وما يقال من أن النسبة بالعموم المطلق بين العرفيين إنما هي بحسب الوجود دون الحمل الذي كلامنا فيه لأن الحمد كفعل القلب مثلا فيما خلق لأجله جزء من صرف الجميع غير محمول عليه لامتيازه في الوجود عن سائر أجزائه فغلط من باب اشتباه مفهوم الشيء بما صدق هو عليه فإنما الذي محمولا على ذلك الصرف هو ما صدق عليه الحمد أعني صرف القلب وحده لا مفهومه المذكور ولا يقال صرف الجميع أفعال متعددة فلا يصدق عليه فعل واحد لأنا نقول هو فعل واحد قد تعدد متعلقه فلا ينافي وصفه بالوحدة كما يقال ضرب زيد فعل واحد وهو ضرب القوم مثلا وتحقيقه أن المركب قد يوصف بالوحدة الحقيقية كبدن واحد والاعتبارية كعسكر واحد وصرف الجميع من قبيل الثاني كما لا يذهب من ذي مسكة هذا والنسبة بين الحمدين عموم وخصوص من وجه وبين الشكرين عموم مطلق وكذا بين الشكر العرفي والحمد اللغوي وبين الحمد العرفي والشكر اللغوي أيضا إذا قيدت النعمة في اللغة بوصولها إلى الشاكر كما مر وإذا لم تقيد كذلك فمن وجه وكل ذلك ظاهر بأدنى تأمل ولا يخفى أيضا أن النسبة الثانية من هذه الأربع بحسب الوجود واعلم أن الإمام فسر الحمد في سورة الأنعام بهذا المعنى وتفسير الشكر بما ذكر من الصرف

مذكور

مذكور في بعض كتب الأصول قيل وبهذا المعنى ورد قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور انتهى له أي لله تعالى على إما صلة أي معدية كما قال بعضهم وإما تعليلية كما هنا اختاره آخرون ومثلوه بقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم أي لأجل هدايته إياكم أولانا أي أعطانا وما مصدرية أي إيلائه إيانا وهو أولى كما مر كونها اسما موصولا وبين المصدر والموصول بقوله من الفضل أي العطاء عن اختيار لا من إيجاب كما تقول الحكماء ولا وجوب عليه كما يقوله المعتزلة والكرم أي بذل الكثير لغير علة لا أحصي في الصحاح الإحصاء العد أي لا أعد ثناء هو الوصف بالجميل وأما قوله فأثني عليه شرا فللمشاكلة لما قبله عليه أي على الله تعالى فإن قلت ثناء نكرة في سياق النفي فهي لعموم السلب أي لسلب الإحصاء عن كل فرد وذلك لا يليق إذ لا يخفى إمكان عد أفراد كثيرة من أفراد الثناء فضلا عن ثناء واحد فتعين أن المراد إنما هو لسلب العموم أي سلب الإحصاء الواقع على كل فرد أي لا أعد كل ثناء عليك أفراده لا أثني بها فاللفظ لا يطابق المراد بل يضاده قلت التنكير في ثناء للنوعية أي لا أحصي ثناء عليك موفيا بجميع نعمك كلها فهو لعموم السلب في الأفراد النوعية فقد حصلت المطابقة بين اللفظ ومعناه فإن قلت تفسير الإحصاء بالعد كما ذكرت وإن طابق اللغة إلا أنه ينبو عنه المقام إذ المتبادر أن المراد سلب القدرة عن الإتيان بجميع الثناءات المستحقة له تعالى أو بإتيان فرد موف بجميع نعمه كلها لا على عدد ذلك فالمطابق للمقام تفسير الإحصاء باستيعاب الفعل قلت لا يخفى أن العد يستلزم استيعاب المعدود فقد أطلق الملزوم وأريد نفي اللازم فإن قلت فما الدليل على العجز عن ذلك قلت لما كان الحمد والشكر من النعم المقتضية للحمد والشكر وهلم جرا إلى غير النهاية لم يمكن الإتيان بحمد أو شكر موفيين بجميع النعم قال السيد اعلم أن قول القائل الحمد لله إما إخبار كما هو أصله وإما إنشاء وعلى التقديرين يدل إجمالا على الاتصاف بالكمال فيكون حمدا وكذا الشكر يدل على كونه منعما كذلك يكون شكرا ولا يخفى عليك أنه إذا كان نفس الحمد والشكر من النعم أيضا لا يمكن لأحد الإتيان بهما على التمام والكمال لاستلزامه تسلسل الأفعال إلى ما لا يتناهى انتهى فإن قلت ما السر في الإتيان بعد الحمد والشكر بقوله لا أحصي ثناء عليك قلت لأنه لما قابل كل نعمة بحمد إجمالا وكل إيلاء نعمة بشكر كذلك خشي أن يتوهم أن تلك المقابلة الإجمالية إحصاء فرفع ذلك التوهم بالإشارة إلى أن الإحصاء هو